

## الدرس الثاني تاريخ التشريع الإسلامي

علمنا أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تكامل نزول القرآن وحفظ وكتب وقد وعى جل أصحابه الحديث إما كتابةً في السطور أو حفظاً في الصدور وما من مسلم عاقل يقول ما هو الدليل على أن السنة مصدر ثاني للشريعة. لأن الغاية من هذا التخلص من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسح المجال للتلاعب بالقرآن وأحكام الشريعة والذي لا يعترف بالحديث فهو بالأحرى لا يعترف بالقرآن لأنهما وصلا إلينا بنفس الطريق. والذي يقول بعد 14 قرن اختلط الحديث الصحيح بالضعيف بالموضوع فلم نعد نستطيع دراسة الحديث فإن قوله يعني:

- نسب العجز إلى وأنه غير قادر على حفظ الشريعة سبحانه وتعالى.
- وأن الآية { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } خاصة بالصحابة وليس لنا نصيب من هذا وبالتالي أصبح هذا الكلام القرآني غير ممكن التطبيق كأن الله أمرنا بما ليس لنا قدرة على عمله وتطبيقه.
- نسب الجهل إلى الله سبحانه ذلك أنه أمرنا أن نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلم إلى يوم القيامة ولا يعلم بما سيؤول الوضع إليه بعد قرون فهو غير عليم معاذ الله، ونعود إلى حديثنا ونقول إن الإجماع القياس من مصادر التشريع الرئيسية ولكنها لم تطبق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أمر بديهي.
- لأن المصدر الأساسي القرآن والسنة كانا موجودين ونعلم أننا نطبق الإجماع والقياس عند عدم تغطية النص بشكل واضح لمسألة ما فإذا ورد سؤال ما فنجد أن نص ما يغطيه { يسألونك عن الخمر ... يسألونك .

إذاً في العشر سنوات الأخيرة هي سنوات التشريع لا يوجد فيها إجماع أو قياس  
وال 13 سنة الأولى للعقيدة.

ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في المسائل التي بحاجة إلى  
حكم ولم ينزل بها نص أو وحي وذلك عن طريق أحكام عقله في المسألة والقياس  
ولكن الاجتهاد في زمنه عليه الصلاة والسلام يتصف بالأمر التالية:

- اجتهاده أي لمسألة طارئة أوجبت الحاجة أو يكون لها حكم.
- الإجماع والقياس والعرف وسد الذرائع وباقي المصادر التشريعية لم توضع  
في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم موضع التنفيذ بل وضعها الباري ليهيئ  
العقول للناس حتى يقيسوا ويجتهدوا ولكن ليس الآن إنما في وقته أما الآن فالقرآن  
ينزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم موجود، إذاً وحسب الاجتهاد بالمعنى  
التشريعي ولكنه لم يكن تنفيذي حتى ينزل فيه حكم.

- أي اجتهاد من الصحابة كان لأمر ضرورة استثنائية مثل قصة سيدنا  
معاذ عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فكان يجتهد بعد  
المسافة ولكن يعاد النظر فيما اجتهد.

- اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس مصدر للتشريع بل المصدر  
هو الوحي والقرآن الذي يؤيد أو يحول اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فاجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إما أن يكون مقبولاً عند الله فيؤيده  
الوحي والقرآن أو بالسكوت أو غير مقبول فينزل القرآن مغيراً له، فالسكوت  
عن الاجتهاد هو الحجة وليس الاجتهاد هو الحجة.

أمثلة:

- روى مسلم أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [ إذا اجتهد  
الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر. ] هذا إعلان من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

• روى أبو داوود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن معاذاً أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ليعلم الناس دينهم فقال: [ يا معاذ بما تقضي أم ماذا تفعل إذا عرض لك قضاء قال بكتاب الله قال فإن لم تجد بكتاب الله قال بسنة رسوله قال فإن لم تجد قال أقيس الأمور بمشبهاتها ( وهو الاجتهاد ) فقال له المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد تحمل وجهه سروراً الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله كما يرضي رسول الله ] وفي رواية: [ أجتهد رأي ولا ألو ] أي اجتهد ولا أقصر.

• قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أسرى بدر عندما شاور أصحابه عملاً بقوله تعالى { وشاورهم في الأمر } ثم قضى بالفدية فجمع الرأفة والرحمة بالمشركين وبين استعادة شيء من أموال المسلمين ورأى أنه أفضل من القتل.

• اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته على بعض من ماتوا من المنافقين اجتهاداً فنزلت آيات سورة التوبة تعليقاً على هذا الموقف.

• قصة خولة زوج أوس بن الصامت يوم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن زوجي قال: أنت مني كظهر أمي أهذا يعني الطلاق أم لا؟ فكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما أراك إلا قد حرمت عليه ( ما أرى أي هكذا أظن ) فنزلت آيات سورة المجادلة محولة رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا نرى أن كثيراً من اجتهادات الرسول صلى الله عليه وسلم نزلت آيات تحوّلها إلى شأن آخر.

• والذي يجتهد بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم أو بوجود نص مثل الذي أراد الصلاة وهو يعلم اتجاه القبلة فدخل غرفته وقال أريد أجتهد !! هذا لا يجوز فقد ترك **حكماً** يقنياً **حكماً** ظنياً.

● قصة الصحابي الضرير عبد الله بن أم مكتوم واجتهاد الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يجلس مع المشركين اليوم وغداً يجلس معه في المسجد الساعة والساعتين.

إذاً الاجتهاد بكل فروعه قياس وإجماع وسد الذرائع والمصالح المرسلة والعرف كلها مصادر للشريعة بنص من القرآن ولكنها كانت مصادر شرعية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتنفيذية بعد وفاته والله عز وجل يريد أن يهيأ عقول الناس لذلك، وما أكثر الآيات التي تنتهي بقوله تعالى: [ فاعتبروا يا أولي الألباب ] أي لا تيسوا نظركم على هذه المسألة ولكن قيسوا هذا الأمر على أموركم قيسوا وقائعكم الآتية بما يشبه سنة الله الماضية.